

هذه أمي

شركتي تجريدك يا أمي قومت

بقلم

السعيد السوي

الامسلام والحرية الفكرية
تاريخ الشراكية (بالانجليزية)
مؤلف:

القاهرة

١٩٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeykandl.com

منعاً للاقتباس ، يعلن المؤلف أن هذه الرسالة هي غير كتاب
(الأديغة - الشرا كسة - قديماً و حديثاً) الذى أعلن عنه، والذى
حالت ظروف قاهرة دون إصداره . والفكرة من إصدار هذا
الكتيب موضحة فى صدره .

وقد أهدي المؤلف خمسمائة نسخة من هذا الكتيب للنادى
الأهلى الرياضى بعمان (شرق الأردن) ، تقديراً لجهود النادى الرياضية
والثقافية ، وتأيداً لرسالاته السامية .

المؤلف

القاهرة أول اكتوبر ١٩٤٧

obeykandl.com

نظرة عامة

هذا ليس كتاباً .

وإنما هي رسالة مقتضبة قصدت منها تعريف القارىء ببعض أحوالنا ، وشيء عن تاريخنا ، وإبراز بعض الآثار التي تركناها في حياة البلدان التي حللنا بها .

وعندما تتكلم عن تاريخ الشراكسة ، فأنما نتحدث عن صفحة من أنصح صفحات التاريخ البشرى ، وكذلك من أشدها بؤساً وشقاء فقد كتب الشراكسة صفحات تاريخهم منذ القرن السادس عشر يدمهم دفاعاً عن حرية أوطانهم وسلامة عقائدهم ، وليس هذا ما يحزننا ، ولكن يؤلمنا أشد الألم أننا اضطررنا إلى هجرة بلادنا حوالى العام ١٨٦٦ فهاجر أجدادنا إلى تركيا وبلاد الشرق الأدنى وأوروبا. حيث لاحقهم المصائب ، ففضى منهم الكثير ، وعاملهم سكان البلاد الأصليون معاملة الأجانب الدخلاء ، فاضطهدوهم ، وحاربوهم ، إلى أن استقر الأمر وهدأت الأحوال . وحل التفاهم محل الخصام .

وأما موطننا الأصلي فبلاد القوقاز ، وهي بلاد جبالية باردة ،
تغطيها الثلوج أكثر شهور الشتاء . وفي بعض المناطق أكثر شهور
السنة . وفيها السهول الخصبة والمروج الخضراء اليانعة ، وفيها الأجراس
الكثيفة التي يصعب في بعض الأحيان اختراقها لشدة كثافتها . وفيها
بساتين الفاكهة المترامية الأطراف . والخلاصة ، أنها من أجمل بقاع
الأرض ، وأخصبها ، وهوائها صحي جميل ، ومن ذلك كانت أجسام
الشراكسة والشعوب القوقازية بوجه عام كاملة النمو ، وبذيتهم قوية
شديدة الاحتمال ، رياضية التركيب جميلة المنظر

وببلاد القوقاز ، كما هو معلوم ، غنية بمعادنها . ففيها الحديد
والذهب والفضة والسكروم والنحاس ، وفيها البترول بوفرة ، وهي
لهذا السبب كانت دائماً محط أنظار الفاتحين والغزاة ، من الشمال
والجنوب .

ونحن ، الشراكسة ، من الشعوب الآرية البيضاء . والعنصر
القوقازي ، كما هو معلوم ، أصل السلالات البيضاء وأبقاها . وفيها
ذوو الشعور الشقراء ، والعيون العسليّة أو الزرقاء ، كما يوجد بيننا
ذوو الشعر الكستنائي ، ولكن البشرة بيضاء صافية ، وتحتها تجري
دماء حرة من أنقى ما عرفته البشرية .

وقد جاء ذكرنا في كتب مؤرخي اليونان القدماء ، مثل هيرودوت
واسترابون وسيلاكس . وهؤلاء كانوا يسمون الشراكسة بأسماء

مختلفة مثل :سر كس وكركت وكر كس . كما أن بعض مؤرخي بيزانطة قد اصطلمحوا على تسمية بلاد الشرا كسة (قازاخيا) ولعل هذه الكلمة الأخيرة مشتقة من كلمة (قوقاز) . وقد ذكر البستاني في دائرة المعارف جزء ١ ص ٤٤٤ أن مؤرخي القرون الوسطى كانوا يذكرونهم باسم (سيراكس) ، وجميع هؤلاء المؤرخين أشادوا بمدنية الشرا كسة القدماء وحسن صفاتهم ، حتى أن هوويروس المؤرخ والشاعر اليوناني القديم ، جعل بلادهم مرتبهاً لإلياذته المشهورة ، كما أن أساطير اليونانيين القدماء تروى أن الإله بروميتس نفى إلى بلاد القوقاز واعتقل بها .

ولعل أهم ما يميز به الشرا كسة قديماً وحديثاً الشجاعة المنقطعة النظير ، لا تثنيتهم الخساطر عن بلوغ المراد ، بل ولا الموت . وحياتنا سلسلة من المعارك والحروب . ومجدنا قائم على احتفاظنا بوطننا زهاء مائة عام نخضنا خلالها من القتال وأذقنا عدونا بعضاً من بأسنا ، إلى أن اضطرتنا القوة العددية إلى هجرة بلادنا ، رافضين البقاء في وطننا بعد أن احتله الفاصب واستولى عليه .

ومن أهم صفاتنا ، كذلك ، الكرم المتناهي ، ومن الأمثلة الشركسية المثل المعروف « دار لا ضيف فيها لا بورك فيها » . ولا يصح مطلقاً سؤال الضيف عن موعد سفره ولا عن سبب حضوره ونعتبر ذلك منافياً للآداب والذوق السليم . ومنها الوفاء بالوعد ، واجارة المستجير والتمسك بالشرف والمحافظة على الكرامة .

ومنها الصدق والصراحة المتناهية . ولعل هذه الصفة هي التي
مشعتهم من أن يكونوا تجاراً وأرباب أموال ، لأنهم أبعد ما يكونون
عن الخيل والأساليب الخاصة التي يجب أن تتوفر في التاجر الناجح .
ومن مفاخرنا القديمة شدة محافظتنا على العرض والكرامة ، فدون
ذلك الموت الزؤام . ومن تهاون في ذلك طردته قبيلته ، ونظمت في
حقه القصائد المشينة ، وكلما ذكر اسمه لا يذكر إلا مقرونا بالسخرية
والاحتقار .

وتتميز المجتمع الشركسي بعدة أمور منها : —
أولاً — إنعدام الفقراء والمتسولين ، فلم يشهد تاريخنا متسولا
شركسيا واحدا وهذا مرجعه إلى الأمانة الشركسية والكرامة الشخصية
فإن تجد شركسياً يمد يده طالبا للإحسان . مهما ضاقت به الظروف
وانحدرت الأحوال .

وقد ساعد على انعدام السؤال بين الشركسة تعاونهم ومساعدة
أغنيائهم لفقرائهم مساعدة تكاد تكون متصلة .

ثانياً — احترام المرأة ومحبتها ، إلى حد لا يوجد حتى في أرقى
الأمم تمدنا في عصرنا الحاضر . من ذلك : أن المرأة الشركسية لا تقوم
بأعمال الخدم أو الأعمال الشاقة التي هي من وظائف الرجل . واسكن
ذلك لم يمنع من أن تقوم الزوجة بمساعدة زوجها ومعونته كلما اقتضاها
الامر ذلك

وتفرض عادات الشرا كسة على الرجال الوقوف إذا مرت بهم سيدة ، والترجل عن الخيل إذا كانوا ركوبا ، حتى ولو لم تكن لهم بالسيدة معرفة سابقة . ولا يصح ارتكاب جريمة في حضرة آنسة أو سيدة ، أو التفوه بألفاظ جارحة أو خارجة عن الأدب . كما أنه لو التجأ قار أو قاتل إلى سيدة فهو آمن ما دام تحت سقف بيتها ، ولا يستطيع أحد أن يعتدى عليه مادام في حرماها

ثالثا — احترام الكبير . فالأب هو رأس العائلة وكرامته نافذة على الجميع . وإذا اجتمع كبير وصغير فاحترام الكبير واجب . وللعائلة الشركسية تقاليد اجتماعية تجعلها في مصاف أرقى العائلات أدبا ونظاما . وقد بلغ احترام الشرا كسة لكبرائهم أنهم كانوا يقفون اجلالا إذا ما ذكر اسم أحدهم حتى ولو لم يكن حاضرا

رابعا — لا توجد في اللغة الشركسية كلمات نابية . فالشرا كسة لا يتشائمون ، ولا يعيبون بعضهم بأقبح النعوت . ولعل الشرا كسة من شعوب الأرض المعدودة التي لا تحتوى لغتهم على الفاظ الشتائم وعبارات السباب الدنيء .

خامسا — النظافة . فالشركسي نظيف بطبعه ، والشركسية مفرمة بتنسيق دارها وجعلها في حالة دائمة من النظافة . حتى منازل الفقراء تجدها على بساطة أثارها ومحتوياتها خالية من الشوائب ، حسنة الترتيب ، بالغة النظافة وقد شهد بذلك كثيرون من السياح الأجانب

الذين جانبوا بلادنا ودرسوا أحوالنا .

وحياة الشراكسة الاجتماعية مقيدة بقواعد وأصول مرعية تعرف (بالأديغة خازة) وهذه القواعد يراعها الجميع لا فرق بين كبير وصغير ، أمير أو صعلوك ، وهي تحدد مكان كل فرد ، وواجباته وحقوقه ، وفيها حكم لكل ما قد يطرأ على حياة الشركسي ، فهي أشبه بدستور اجتماعي منظم ، حفظ الأمة من الانحلال والانفكاك طيلة هذه القرون والأعوام .

وأما ديننا فالإسلام . وقد أخذنا عن الأتراك وخازات القرم . وكان قبل ذلك بعضنا نصارى ، والبعض الآخر يؤمن بعبادات وعتائد دينية خاصة . ومن عاداتهم الوثنية عبادة بعض الأشجار ، كما كانت لهم آلهة متعددة ، منها : إله الحصاد وإله الحرب وإله الحب وإله الريح وإله البحر وغيرها . وكانت لهم معابد أو هيياكل ووثنية تقام فيها الصلوات وتنحدر فيها الذبايح . وكثيرا ما كانت تقام احتفالاتهم الدينية في العراء أو تحت إحدى الأشجار المقدسة . وكان يذوم بالطقوس الدينية كاهن مختص .

وفي عهد جوستينيان الامبراطور الروماني انتشرت المسيحية في بلادنا ، وجاءها كثير من الرهبان الذين أسسوا الأديرة والسكنائس . وأول ما استوطن الرهبان بلاد القبردي في جهة تبعد حوالي خمسة كيلو مترات إلى الشمال من مدينة نالتشك عاصمة القبردي الحالية . وما زالت في بلادنا بقايا هذه السكنائس والمعابد المسيحية ، كما أنه ما زالت بين شعبنا بعض بقايا التقاليد المسيحية ، مثل لبس السواد ،

واحياء رأس السنة المسيحية، وكانوا يسمون يوم الأحد (يوم الله) ولسيدنا عيسى عليه السلام منزلة عظيمه واحترام مقدس. وأما الإسلام فاول من آمن به في القوقاز هم الكرج وبعدهم الداغستانيون ثم القيردى (في القرن الثاني عشر الميلاد) ، ومنهم انتشر في عموم بلاد الشركسة

وأما لغتنا فاللغة الشركسية . وهي لا تشبه أية لغة من اللغات المعروفة والكنها تحتوي على جميع الاصوات الخاصة باللغات الاندو - أوروبية ، وليست ، بوجه التأكيد ، من اللغات التتبية أو الطورانية . كما انها تحتوي على كلمات كثيرة تشابه الكلمات الاوروبية . وأداة التعريف غير موجودة باللغة الشركسية ، كما انها خلو من علامات التذكير والتأنيث (ماعدا لفظة الابازة) . وتتماز اللغة الشركسية كذلك بصعوبة الاحرف الساكنة ، وبعض الكلمات الشركسية لا يتركب من أكثر من مقطع واحد أو مقطعين . كما تحتوي الفلسفة الشركسية على بعض الكلمات المركبة من كلمتين أو أكثر وأما عددنا فيبلغ المليونين ، مشتتون في القوقاز (وطننا الاصلى) وتركيا وسوريا وشرق الاردن وفلسطين ومصر وبعض بلدان أوروبا . وكان عددنا إلى حين قيام الحروب الشركسية - الروسية حوالي ستة ملايين ، هلك أكثرهم في القتال ، وهلك حوالي النصف مليون أثناء الهجرة من تأثير الجوع والمرض . والعدد الاكبر الآن موجود في تركيا (حوالي المليون) ، وفي القوقاز حوالي النصف مليون ، والباقون مشتتون في بلاد مختلفة .

مجتمعنا وعاداتنا القومية

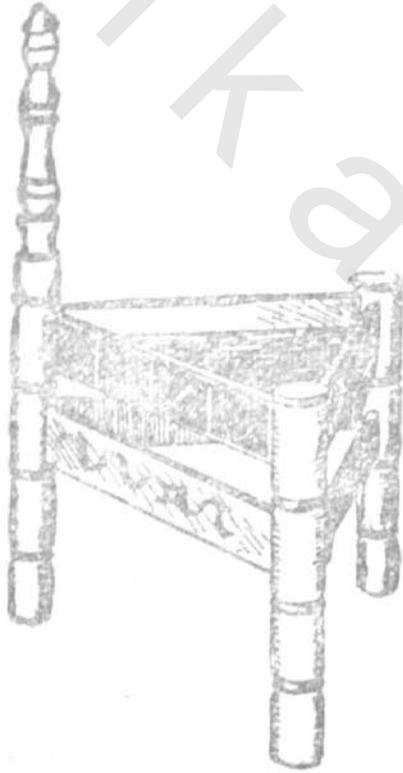
كان المجتمع الشركسي يتألف من عدة طبقات هي : (الأُمراء) ، وهم حكام البلاد أثناء السلم وقادتها في الحرب . (والنبلاء) وهم يلون الأُمراء في المرتبة ولهم إمتيازات خاصة . (والشعب) وهم طبقة الزراعة والصناع والأحرار . و (الأتباع) وهم في الغالب أسرى الحرب ، وإليهم كانت توكل خدمة الأُمراء والنبلاء . وظل هذا النظام سائداً حتى ألغته روسيا أثناء الاحتلال ، بعد أن كان آخذاً في الأضمحلال والزوال (١) .

وتألف الأمة الشركسية من مجموعة قبائل كبيرة وصغيرة ، أهمها حسب ترتيب الحروف الطبجائية : الأبخاخ ، والأبازة ، البسانى ، الزادوغ ، الحاتقواى ، الناتخواج ، القيردى ، الشابسوغ ، والأويبخ ، وأسكل من هذه القبائل لهجة خاصة ، إلا أنها متقاربة . وأكبر هذه

(١) كان الأُمراء (وبالشركسية بشي) عرضة للعزل إذا تهاوتوا في الحرب أو في تنفيذ العادات والقوانين المرعية أو أتوا بما يحط من كرامتهم . وتنتقل الألقاب وراثية من أكبر العائلة لأولاده ؛ إلا أنه يصح أن يرفع إلى درجة النبلاء (وبالشركسية ورق) من أتوا بأعمال جليلة أو أظهروا ذكاء وعبقريّة خاصه أو امتازوا في الممارك بشجاعة نادرة .

القبائل عدداً هم القبردي . ولهم الآن حكومة ذاتية ضمن نطاق الاتحاد
السوفيتي . وكان لكل أسرة كبيرة علامة خاصة تتميز بها . وتخصيص
هذه العلامات من اختصاص مجلس نبلاء القبيلة . وتوضع هذه العلامة
عادة على الخيل والسلاح والدواب وكل ما كان خاصاً بالعائلة .

(وكان الشرا كسة يتفاخرون بأنسابهم وعائلاتهم ولا يذكر أحد
إسمه إلا ملحوقاً باسم القبيلة أو العائلة . ومثل هذا النظام شائع الآن
في الامم الأوروبية والأمريكية إذ ينادون الشخص باسم عائلته فيقال
مستر ملر . . ولا يقال مستر جيمس مثلاً .



وكان الشرا كسة يبنون قراهم على
سفوح الجبال ، تحوطها الأشجار من كل
ناحية . وتتألف القرية عادة من خمسين
إلى مائتي بيتاً، مبنية بالطوب (القرميد)
أو الأحجار أو الخشب . وسقفها
محدودب ، مقام على أعمدة في وسط
البيت . ويتألف البيت عادة من أربع إلى
ثمانى غرف ، وملحق به أسطبل للخيل
والماشية ، ومخزن للحبوب .

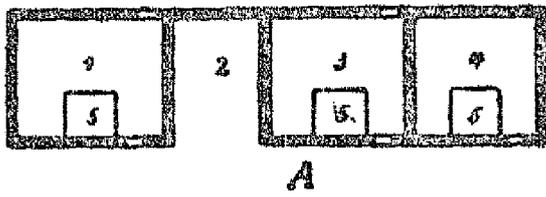
وكان الشرا كسة يصنعون الكراسى
والمناضد من ثلاثة أرجل فقط ، كما كانوا
يصنعون أسرهم من الخشب . ويرجع
استعمالهم للأسرة الخشبية إلى ما قبل
خمسمائة عام .

كرسى ذو ثلاثة أرجل . كان استعماله
شائعاً في شمال القوقاز (على ١٧ من
الحجم الطبيعي)

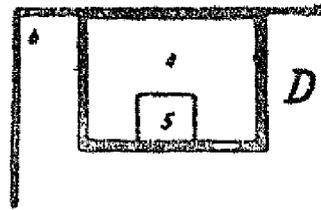
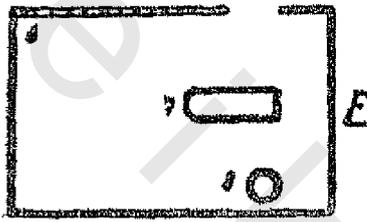
وكانوا يزينون جدران منازلهم الداخلية بمختلف أنواع الأسلحة
والطنافس التي كانوا يشترونها من بلاد العجم . وقد استعمل الشراكسة
منذ القدم الصحف والملاعق الخشبية ، وكذلك الأواني المصنوعة
من الخزف الملون .

وأما لباسهم ، فقد اشتهر بين كافة شعوب القوقاز حتى أخذه
عنهم أكثرها . وأخذه عنهم كذلك القوزاق والروس . وكان
القيصر يرتديه في الحفلات الرسمية وحفلات الجيش . وأخذ الأتراك
عنهم لباس الرأس (القلاب) ، وكذلك أخذت نساء الشعوب المجاورة
عن نساء الشراكسة زين . ويمتاز اللباس الشركسي بطابعه الحربي ،
فهو لباس الرجل المقاتل ، كما يمتاز بكثرة ما يوشونه بالذهب والفضة .
ويتمنطق الشراكسة بالقامة (الخنجر الشركسي) المطعم بالفضة
والأحجار الكريمة ، ولا يستغنون عنها مطلقا . كما كانت نساؤهم تلبس
التياب الحريرية الفضفاضة ، والأحزمة الفضية والذهبية . وكانوا
يضعون الذهب أحيانا على أذنيهم . وأما القلاب (لباس الرأس)
فيصنع من الجلد وما زال استعماله شائعا حتى الآن في تركيا وفلسطين
وسوريا وشرق الأردن .

(والشراكسة زراع ماهرون) وقد ساعدتهم على ذلك خصب
أراضيهم ووفرة المياه . وقد زار بلادهم الرحالة الانجليزي (جيمس
بل) عام ١٨٢٦ فوصف حقولهم بأنها تضارع في تنظيمها وغلتها
أحسن حقول يوركشاير بإنجلترا . وكانوا يزرعون الحبوب بأنواعها



والكرم ، والتبغ
والفاكهة . وكانت
المنطقة تنمو إلى علو



١٨٠ سم
وكانوا يهتمون

كذلك ببعض

الصناعات الزراعية
كترية النحل

لاستخراج العسل
وصنع الألبان

والجبن الشركسي
المشهور ، والزبدة .

كما اشتهروا كذلك بتربية الخيول وتجارها . والخيول
الشركسية مشهورة بشدة احتمالها واستطاعتها تسلق الجبال . وكانوا
يصدرونها لتركيا .

خريطة تمثل إحدى المزارع الشركسية في قرية (بيبرد) . (A) .
المنزل . (1, 2, 3, 4) . غرف . (5) . مدافئ . (2) . مدخل
فضاء . (B) . اسطبل . (C) . مخزن للحبوب والعلف . (D) بيت
ويستعمل كاصطبل في الشتاء . (E) قاعة كبيرة مجهزة للاحتفالات
المشهور ، والزبدة . كما اشتهروا كذلك بتربية الخيول وتجارها . والخيول
الشركسية مشهورة بشدة احتمالها واستطاعتها تسلق الجبال . وكانوا
يصدرونها لتركيا .

(وقد اشتهر الشركسية منذ القدم بإتقانهم للصناعات المعدنية
كالسيوف والخناجر الموشاة توشية دقيقة بالذهب والفضة ، وكذلك
صياغة الحلبي من الذهب والفضة ، كما اشتهروا بصياغة الأقمشة) وكانت
العائلات الشركسية تصنع أكثر لوازمها بأيديها . من لباس الرأس
حتى الأحذية ، كل هذه كانوا يصنعونها بأيديهم ويفسأخرون بعضهم
بعضا في إتقانها وجودتها . وبعد اكتشاف البارود ، كان الشركسية



يصنعونه من زبل الأغنام ، كما كانوا يصنعون (الطبنجات) وبعض أنواع الأسلحة النارية .

وقد كشفت البعثات الأثرية في بلاد الشرا كسة عن تماثيل منحوتة في الحجر ، كما أثبتت أن الشرا كسة هم أول من اخترع ابرة الخياطة من الحديد والبرونز ، وكذلك أمشاط الشعر (١) .

وأما النقود التي استعملوها في القديم فهي النقود اليونانية ثم الرومانية ثم الكوفية (العربية) ثم النقود القوقازية التي سكتها ملوك الكرج (جورجيا) .

وفيما يلي بعض عاداتنا مما تميز به قرمانا

نذكره اجمالاً :

الزواج : (بالرغم من سماح الدين الإسلامي الذي ندين به بتعدد الزوجات أو الطلاق فان الشرا كسة لم يبيحوا لأنفسهم استعمال هاتين الحريتين فحددوا الزواج بواحدة ولم ياجأوا إلى الطلاق إلا في الحالات القصوى

و يتخير الشرا كسة زوجاتهم عادة بعيداً

طبنجه من النوع الذي كان يصنعه ويستعمله الشرا كسة خلال القرنين السادس والسابع عشر (على الحجم الطبيعي)

() تاريخ القوقاز ص ٢٤١ .



هزوجة لتربية النحل في إحدى تفرى الشركية . لاحظ الخلابا المصنوعه من جندوع
الأشجار المجرفة . وهذه الصنائة كانت من دعائم الحياة الاقتصادية في بلاد الشركية

عن ذوى قربانهم ، فهم لا يتزوجون بنات الخؤولة أو العمومة إلا في
النادر جداً ، وهم يعتبرون أولئك بمثابة أخوات لهم ومن عائلة واحدة .
والشباب ملء الحرية في اختيار شريكة حياته ، بشرط أن تكون
من طبقتة الاجتماعية ، ونبیح التقاليد الشركية للفتاة أن تخالط من
تشاء من الشبان الاكفاء ، ولها (مضافة) خاصة تستقبل فيها زوارها .
فاذا ما وقع خيارها على أحد الشبان ، تقدم الشاب لخطوبتها من والدها
وتجرى مراسم العرس بعد ذلك على الطريقة الإسلامية وتقام الافراح
مدة سبعة أيام ، يكون العريس خلالها ضيفاً على أحد أصدقائه .

وإذا آانس الشاب معارضة من أهل الفتاة عمد إلى (خطفها) بمعاونة بعض أصدقائه ، فيأخذونها إلى بيت أحد الكبراء ، وهذا يبلغ والد الفتاة أن ابنته موجودة عنده فيجتمع كبراء الطرفين لاتمام اجراءات الزواج الشرعية . وإذا حدث وعارض والد الفتاة في اتمام الزواج ، نتجت عن ذلك مصادمات دموية عنيفة . إلا أن والد الفتاة كان يرضخ في الغالب لحكم الواقع وتم مراسيم الزواج بالطريقة المعتادة .

ولا تسمح التقاليد الشركسية مطلقا بسكنى الصهر مع الزوجة ووالدها في بيت واحد . كما أن الزوج لا يدخل على زوجته نهارا ، ولا يتناولان طعامهما معاً ، في حالة وجود أحد والديه في المنزل إذ كان يتناولونه حينئذ مع ضيوفه أو بمفرده في غرفة الإستقبال أو (المضافة) . وينقضى عام قبل أن يستطيع الصهر مقابلة حميه والإجتماع به . وتقام لهذا الغرض حفلة خاصة لها مراسيمها وأصولها .

ومن تقاليدنا في الزواج ألا تكلف العروس بعد زفافها بأية خدمة لمدة طويلة قد تبلغ العامين ، ويقوم بخدمتها في هذه المدة أترابها وصاحباتها وقربياتها . وينفالى الشراكسة بدفع المهر . ويعتبرونه مقياسا لرفعة العائلة . ويهتمون به كل الإهتمام .

الوفاة : كان الشراكسة القسدماء (في القرن السادس عشر

وما قبله) . يعرضون جثة النبيل مدة اسبوع بعد نزع الأحشاء ، ويقوم بحراسة الجثة رجالان من أقرباء المتوفى كما تقوم فتاة ويدها سهم ربطت على طرفه قطعة من الحرير ، بأبعاد الحشرات عنه . ثم يدفن الميت بكامل ثيابه ومعداته الحربية ، ويستمر الحداد أربعين يوماً . ويلبس أهل الميت السواد مدة عام ، وبعضهم يلبسها مدة عامين كاملين .

وإذا كان المتوفى شهيد حرب ، فيحرم لبس السواد ، وإقامة المآتم ، فيحضر الجميع الجنازة بملابسهم البيضاء . ولا يجوز ذرف الدموع مطلقاً على الشهداء ، فيكتفى بإنشاد بعض القصائد الحزينة المناسبة في رثاء الميت وتعيد مناقبه .

الرقص والأغاني : يختلف رقص الشراكسة عن سواهم من الشعوب

وهو على ثلاثة أنواع رئيسية (١) ويج (٢) قافه (٣) ششن . أولاً كثرها شيوعاً هو (الويج) ، ويقوم به جملة شبان وشابات على أنغام الآكورديون التي تقوم بالعزف عليها شابة من الحاضرين .

ولا تشترك المتزوجات في الرقص ، إذ هو مقصور على الأوانس فقط . وتدار خلال الرقص أكواب شراب الشراكسة القومي (الباخسمة) . وهو شراب كحولي مصنوع من خمير القمح أو الذرة ، ويقوم بتقديمها للحاضرين إحدى الفتيات .

ومكان الأوانس يكون دائماً في الجهة اليمنى للرجل المراقص لها .

وأما الأغاني فكان ينظمها الشعراء وبالشركية (جه جوا كوه) ويمكن قسمتها إلى قسمين رئيسيين وهما :

(١) ورد - وهي الأغاني والقصائد التي تصف الحياة القومية والوقائع الحربية وحوادث الحب والقصص الخيالية المسلية . وتعتبر هذه الأغاني موردا هاما لتاريخ الشراكسة لكثرة ما احتوته وسجلته من الحوادث الهامة وأنباء الوقائع الحربية الفاصلة في التاريخ الشركسي . ويحفظها الكثير عن ظهر قلب . (١)

(٢) غيظه - وهي المراثي التي نظمت لتمجيد شهداء الحرب والحنانها حزينة جداً ، ولا يسع ساهعها إلا التأثر العميق لما تضمنته من المعاني الرقيقة وتعدد مناقب البطل الشهيد والمطالبة بالأخذ بثأره ومن هذين النوعين من الأغاني والقصائد يتكون الأدب الشركسي أو جملة . وللشعراء منزلة خاصة ويحاطون بكل أنواع التقدير والاحترام . وكثيراً ما اعطيت لهم الجوائز تقديراً وتشجيعاً . والأداة الموسيقية الأكثر شيوعاً لدى الشراكسة هي (الاكورديون) يليها الكمان والمزمار .

(١) من شعراء الشراكسة المشهورين « تسي ابراهيم » . وقد عاش هذا الشاعر الفحل في القرن التاسع عشر ؛ وكان شعرة من أرفع ما عرف في تاريخ القسريش وقد قام الأستاذان آيتك ناميتوق « شركسي » وجورج دوبيزيل « فرنسي » بنشر أشعاره باللغة الشركسية مع ترجمتها بالفرنسية وشرح راف لاكل منها وذلك عام ١٩٤٠ م باريس . وقد كتب مقدمة الكتاب وزير المعارف الفرنسية تقديراً منه للشعر الراق والفنيد الرفيع .

وقد أخذ الروس عن الشراكسة كثيراً من الخاناتهم وبجلوها في
(نوتات) محفوظة ، مازالت تؤلف حتى يومنا هذا جزءاً من
الموسيقى الروسية .

الحكم والأمثال السائرة: — تحتوي اللغة الشركسية على الكثير
من الحكم والأمثال السائرة ، وفيما يلي بعضها ، وهو مرآة صالحة
لأخلاقنا وعاداتنا: —

- ١ — لا تعمل سرا ما يخجلك عمله جهراً
- ٢ — لا تسلم مسنناً بل سل مجرباً
- ٣ — إن اشتغلت كالعبد اكلت كالسيد
- ٤ — دار لا امرأة فيها كأرض لا نبات فيها
- ٥ — لا تقتل كلباً في ماء أنت شاربه ولا تكن فظاً مع
امرأة تعاشرها
- ٦ — لا تلد المعزة شاة
- ٧ — الحر من ثبت على قوله
- ٨ — الضيف يفدى بالروح
- ٩ — لا تتعلق بفرع لا يحملك ولا تبدأ في أمر لا تتمه
- ١٠ — المرأة السوء تقرب أجل الرجل
- ١١ — لا تجعل العبد رد يفك ، فيستولى على سرجك
- ١٢ — إذا كلفت الصغار بعمل فاذهب وراءهم

- ١٣ - التوفيق في العمل لا السرعة فيه
١٤ - إذا عميت البصائر لم تفن الأبصار
١٥ - لا تفعل بالغير ما لا تريد أن يفعله بك

القضاء : - كان الفصل في المنازعات العادية بين الأفراد من اختصاص الورق (النبلاء) حسب التقاليد والعادات المرعية مع مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية . وأما القضايا التي لا يمكن حلها بمعرفة الورق فيحال أمرها إلى محاكم البشي (الأمراء).

وكان للطرفين المتنازعين حق انتخاب المحامين ودعوة الشهود . وتجري المحاكمة علنية ، على النحو المتبع في المحاكم الحديثة تقريبا وكانت تفرض المحكمة في بعض الأحوال أن يكون لكل من الطرفين المتخاصمين كفيل يضمن نفاذ الحكم وعدم الطعن به وكان الحكم - في أغلب الأحوال - يقبل بلا تدمر من كلا الطرفين المتخاصمين.

وقد بلغ عدد المحاكم التي كانت موجودة في بلاد الشراكسة في القرن التاسع الميلادي أربعون محكمة نظامية . وقد دامت هذه المحاكم لغاية سنة ١٤٢٧ م

وحوالي هذا العام جاء الأمير الكبير (بسلان) وأسس في كل بلدة مهمة محكمة ابتدائية برئاسة أحد النبلاء المشهود لهم بالعدل والمحافظة على العادات القومية ، وعضوية اثنين أو ثلاثة ينتخبون

من الأهالي بصفة (مخالفين) . وكانت تسمى هذه المحاكم (محاكم التبرئة)
وأما الدعاوى الهامة فكان ينظرها الأمير بنفسه .

وفي أوائل القرن التاسع عشر ، أسس الأمير (عادل كيراي)
المحاكم الشرعية للفصل في الدعاوى الدينية .

ومن أشهر قضاة الشراكسة وأعددهم ، القاضي (آبوق حاجي
اسحاق) واليه يعود الفضل في تعميم المحاكم الشرعية في بلاد الشراكسة
ودقة ما أصدرته من الأحكام والفتاوى الشرعية .

وقد جاء في كتاب (تاريخ القوقاز) لمؤلفه الشركسي المرحوم عزت
باشا قائد الجيش التركي سابقا بصدد الأحكام الشركسية ما يلي : —

«والحكم عند الشراكسة كان يسوى بين الغنى والفقير ، ولا يسمح
للغوى بالتغلب على الضعيف . وكانت الأموال والأرواح والأعراض
مصانة من غير سياج ، والأمن مستتباً بلا احتياج إلى شرطة وأعوان ،
والأمور جارية في طبيعتها من غير تكليف ولا تكلف ، الأمر الذي
ساعد كثيراً على انتشار الرفاهية والسعادة بين الأمة ، وجعل للحياة
الإجتماعية الشركسية قيمة في التاريخ وحفظ هذه الأمة إلى الآن . »

التربية : كان من عادات الشراكسة أنه عندما يولد لأحد هم مولود
يعهدون في أمر رضاعه وتربيته لإحدى العائلات ، التي تتولى كافة
شؤونه حتى بلوغه التاسعة أو العاشرة من عمره . ويعاد الولد بعد هذه
السن إلى أهله في مظاهر الترحيب . وتبذل للعائلة التي تبنت الطفل
الهدايا الجزيلة

وهذه العادة كانت متبعة بنوع خاص عند الاعيان والنبلاء .
وقد لعبت هذه العادة دوراً هاماً في تنمية روح المحبة بين الشرا كسة
كما إنها ساعدت على تنمية النشء تنمية صالحة مستقيمة ، بعيدة عن
التدليل والترفيه التي يبذلها الوالدون عادة لابنائهم ، فيشب الاولاد
وفي نفوسهم روح وثابة قوية ، شديدة الصلابة ، وهذه الروح بالذات
هي التي ساعدت الشرا كسة على الاحتفاظ بوطنهم طيلة هذه القرون ،
وخوض المعارك بجرأة ثابت وتصميم تزلزلت له جبال القوقاز
وصخوره .

ولا يسمح الاولاد عند الشرا كسة بأن يجلسوا في حضرة والديهم
ولا أن يظهر وا أمامهم من غير داع أو سبب، كما كان يحرم على الوالد
ملاطفة ابنه وتقبيله - خصوصاً إذا كان ذلك في حضرة الجد ، ولا
ينادي الولد والده باللقب المعروف (بابا) ، وإنما يكون هذا اللقب
من حق الجسد إذا كان موجودا ، باعتباره رأس العائلة ، والمهيمن
على شؤونها .

وأما الفتيات فكن يتعلمن الصناعات والفنون النسوية التي تليق
بهن ، وقضاء الخدمات المنزلية وتبنيح التقاليد الشركسية للفتيات
الإختلاط التام بالرجال ، ولا يحتجبن ، كل هذا ضمن سياج كثيف
من الحشمة والعفاف ، وياويل من حدثتها نفسها بالخروج عن هذه
التقاليد وتخطى هذا السياج

ويستطيع الشركسى أن يفخر ويقرر بكل نزاهة انه بالرغم من هذه الحرية المباحة للمرأة ، لم تحدث حوادث مشينة بالعرض أو الاخلاق منذ عرفت هذه العادات وعرفت الأمة الشركسية على وجه الارض ،

وكان من عادة فتياتنا لبس (المشد) — وهو حزام من الجلد الرقيق — لتتخيف الخصم ، وقد بطلت هذه العادة على مرالسنين . (١) وكانت النساء ترافق الرجال أحيانا في القتال ، فيقمن بنقل المؤونة وتضميد الجراح وتقديم شتى المساعدات . كما ظهر من بينهن مقاتلات وفارسات ، لعبن دوراً هاماً في المعارك التي كانت تدور دفاعاً عن الوطن الشركسى .

١ « ويقال أن اختراع السكورسيه الحديث منشؤه ذلك المشد الذى كان استعماله شائعاً فى بلادنا وفى بعض الأمم الفوقازية الأخرى .

تاريخنا السياسى

بينما فيما مضى طرفا من عاداتنا القومية وتاريخنا الاجتماعى ، وفيما
يلى نبذة مختصرة عن تاريخنا السياسى من أقدم العصور حتى الهجرة
لم يؤسس الشرا كسة ملكا وطيد الاركان على ما هو مألوف فى البلاد.
الاخرى بل كان نظام الحكم جاريا على طريقة حكم الاقطاع (النبلاء) وعلى
أساس التقاليد القومية التى كانت لها صفة القداسة . ويرأس الحكم فى
كل قبيلة أمير تنتخبه مدى الحياة ، يساعده فى الحكم نبلاء التصريف
الامور الداخلية وتطبيق العدالة والتقاليد القومية ، ولكل من هؤلاء
النبلاء حاشية خاصة به

ولم تتم وحدة قبائلهم السياسية إلا مرتين : —
الاولى على يد الأمير بلوتوقة أمير الخانتقواى ، الذى اتخذ لنفسه
لقب (أمير الامراء) ، والثانية على يد الأمير (ينال) الذى وحد
القبائل الشركسية كافة تحت امرته وجعل منها أمة متماسكة الأركان .
إلا أن هذه الوحدة انتهت فى كلتى الحالتين بوفاة مؤسسها ، وعادت القبائل

الشركسية بعد وفاتها إلى ما كانت عليه من الانقسام والاستقلال بالرأى .
إلا أنه بالرغم من ذلك الانقسام ، فقد كان الشراكسة يهبون
للدفاع يداً واحدة عن أوطانهم متى هدها عدو من الخارج . وهذا
ما حدث عند ما أغار عليهم ملوك (خيوة) سنة ٩٥١ ميلادية . وقد
انتهت هذه الحروب بأسر ملك خيوة ، وقطع الشراكسة رأسه
ووضعوا حوله إغاراً كتب عليه « هذا جزاء الغاصب لبلاد غيره »
وبعد انتهاء هذه الحروب ، ذاق الشراكسة طعم الراحة زمناً إلى
أن عمد التتر إلى مهاجمتهم من الشمال ، والشمال الغربي ، وقامت بينهم
حروب متعددة . وأخضع التتر أيام تيمورلنك كافة الولايات الروسية
وأحرقوا مدينة موسكو وقتلوا من أهلها زهاء المائة ألف نسمة .
واستمروا يبدسون سلطانهم عليها حتى عام ١٢٦٣ ميلادية ، ثم بدأت
الولايات الروسية تتحرر واحدة إثر أخرى إلى أن ارتقى عرش
موسكو إيفان (يوحنا) الرهيب عام ١٥٣٣

وكان إيفان ملكاً طموحاً أراد أن يؤسس امبراطورية روسية
مترامية الأطراف ، فأخضع الولايات المجاورة ، وامتدت حدود
مملكته إلى أعراف القوقاز الشمالية . ولم يتوقف التتر وخانات القرم
عن مناوأة الشراكسة ، فخاربوهم مراراً ، وتأرجحت الحرب بين النصر
والهزيمة ، فأرسل الشراكسة وفداً إلى الامبراطور الروسي إيفان
(وكانت زوجته أميرة شركسية من القبردي اسمها ماريا) يطلبون

العون . فأجابهم القيصر إلى ما طلبوا ، وبني في بلاد الشرا كسة ثلاث
قلاع للدفاع .

وهنا تدخلت تركيا ، وأرسل الخليفة العثماني انذاراً للإمبراطور
الروسي يطلب فيه هدم هذه القلاع . فما كان من الروس إلا أن استجابوا
لطلب سلطان الترك ، وهدمت القلاع عام ١٥٤١

كان الشرا كسة في تلك الأثناء يدينون بالنصرانية ، ولذلك كان
طبيعياً أن يعتمد الشرا كسة إلى طلب العون من الإمبراطور الروسي
النصراني ضد التتر المسلمين . ولذلك فقد كرروا طلب العون مرة
أخرى بعد عشرة أعوام عندما اشتد عليهم ضغط التتر وخانات
القرم ، فأجاب الإمبراطور طلبهم مرة أخرى وأعاد الروس بناء هذه
القلاع المهذومة .

لقد كان هذا أول تدخل مباشر للروس في حياة الشرا كسة
واستقلالهم . وسرعان ما انقلبت العرنة المجردة إلى محاولة احتلال
دائم لبلاد الشرا كسة .

وقد أحس الشرا كسة بالخطر الجدى عندما أنزل يوحنا الرهيب
قيصر الروس جيوشه في مدينة استراخان واحتلها عنوة عام ١٥٦٦ .
واستراخان كما هو معاوم مفتاح القوقاز الشمالي .

وفي عام ١٦٨٢ ارتقى بطرس الأكبر عرش روسيا . وكان أول شيء عمله
أن أعلن حمايته على بلاد القوقاز ، وأوعز إلى سفرائه أن يذيعوا أن الشرا كسة

« روس » ، ولذلك فهو يفرض حمايته عليهم . ولكن الشرا كسة شعروا بأنهم حاربوا التتر ليقعوا في قبضة الروس ، وأن بطرس الأكبر كان لا يهدف إلى حمايتهم بقدر ما كان يهدف لإنشاء امبراطورية روسية ضخمة يتربع على عرشها ، وذلك يتطلب حتماً الاستيلاء على القوقاز واحتلاله حربياً . فبدأوا الشرا كسة هذه السياسة الجديدة ، وكانت بعض قبائلهم قد اعتنقت الدين الإسلامي (القبردي هم أول من اعتنق الإسلام) فساعد هذا الأمر على اذكاء نار الكسفاح ضد الروس كما ساعد على ذلك أيضاً أن قبائل الداغستان كلها كانت مسلمة .

وبعد وفاة بطرس ، ارتقت عرش روسيا زوجته كاترين ، واستمرت هذه في تنفيذ سياسة زوجها في التوسع والفتح . فخرضت قوادها القوزاق على مهاجمة الشرا كسة ومناوشتهم ، واستمرت هذه المناوشات زمناً إلى أن كشفت روسيا عن نياتها رسمياً عام ١٧٧٣ إذ أرسلت أول حملة رسمية لإخضاع القوقاز بقيادة الجنرال فوكشاني والجنرال سوفوروف وكانت روسيا مشتبكة في هذه الأثناء في حرب مع تركيا . وفي عام ١٧٨٣ أتمت روسيا إخضاع القرم ، وفي العام التالي طلبت تركيا الصالح ، وعقدت معاهدة ٢١ يوليو .

إلا أنه في عام ١٧٨٧ أرسل هرقل ملك جورجيا إلى كاترين يطلب حماية روسيا ، فأرسلت تركيا انذاراً إلى كاترين تطالب فيه سحب هذه الحماية ، والتقت بالسفير الروسي في السجن . فقامت الحرب

مرة أخرى بين الدولتين ، وتقهقرت الجيوش الروسية عن أكثر الأماكن التي احتلتها في الحرب السابقة . وفي هذه الأثناء أعلنت السويد الحرب على روسيا تؤيدها بريطانيا . وانتهت هذه الحروب بمعاهدة ١٤ أغسطس سنة ١٧٩٠ التي أعادت الحالة إلى ما كانت عليه عند إعلان الحرب

وفي سنة ١٧٩١ احتل الروس قلعة «أناب» وأخذوا الشيخ منصور، قائد القلعة، أسيراً ونمّوه إلى سولوفكس حيث قضى آخر أيامه وفي ١٧ نوفمبر ١٧٩٦ ماتت كاترين بعد حكم مملوء بالحروب واهراق الدماء

وبعد وفاة كاترين ، استمرت الحملات المتفرقة ضد القوقاز، واصطلى الشراكسة وسائر شعوب شمال القوقاز نيران هذه الحروب ، حتى عام ١٨٥٤ ، إذ أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على روسيا وتلتها النمسا . وفي يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٥٤ غزت قوات هذه الدول المتحالفة القرم بقوة قدرها ٥٦ ألف مقاتل . وفي هذه الحروب هلكت قوات كبيرة من الفريقين

وفي ٣٠ مارس عام ١٨٥٦ عقدت الهدنة ، وبموجبها انسحبت روسيا من أكثر البلاد التي احتلتها في أوروبا ووافقت على تدمير القلاع المقامة على شواطئ البحر الأسود وضمان حرية الملاحة في هذا البحر .

الى اليمن :
 صورة علبة مصنوعة
 من الخشب أو
 المعدن المطعم
 بالفضة لحفظ كرات
 الرصاص (أعلى)
 من الحجم الطبيعي)
 الى الشمال .
 علبة أخرى لحفظ
 البارود (أعلى :
 من الحجم الطبيعي).



إلا أن روسيا لم تكن تعويض عن خسارتها في الميدان الأوروبي ،
 اتجهت مرة أخرى نحو شعوب القوقاز المستضعفة فهاجمتها مرة أخرى
 واحتلت مدينة قارس (Kars) في القوقاز يوم ٢٨ نوفمبر عام ١٨٥٦
 أي بعد إعلان الهدنة مع الحلفاء ببضعة أشهر . واستمرت قواتها
 تزحف جنوباً ، وشعوب القوقاز تقاوم هذا الغزو بتصميم وعزم لم
 يشهد لها التاريخ مثيلاً. إلا أن العدو كان يتدفق من الشمال بكثرة
 عديدة هائلة ، واستعداد حربي تام ، فتوالت الهزائم على الشراكسة
 وسائر شعوب القوقاز

وفي العام ١٨٦١ زار القيصر نقولا الثاني جبهة القوقاز ، فقابله بعض زعماء الشراكسة وطلبوا منه إيقاف القتال . فعرض عليهم القيصر شروطا تتلخص فيما يلي :-

أولا - أن يترك الشراكسة أوطانهم وجبالهم ويقيموا في الأراضي التي تعينها لهم الحكومة الروسية .

ثانيا - تنتقل الإدارة المدنية إلى حكومة الامبراطور ، الذي يعين حاكما روسيا للقوقاز له لقب نائب المالك .

رفض الشراكسة هذه الشروط التعسفية وعز على أنفسهم أن يعيشوا أذلاء في بلادهم وهم الذين تعودوا الحرية وقاتلوا القرون والأعوام في سبيلها فهاجروا إلى تركيا، وبلاد الشرق الأدنى ، وشجعتهم الحكومة التركية على ذلك، كما نقل الروس بعض القبائل قسراً على السفن إلى خارج الحدود القوقازية (٢) ولم يبق في القوقاز إلا جزء ضئيل من مجموع الشعب الشركسي لا يزيد على نصف المليون وتحولت بلادهم إلى أطلال وخرائب كنتيجة لهذه الحروب الطاحنة التي دامت أكثر من مائة عام .

وفي أثناء هذه الحروب توحدت الأمم القوقازية في قتالها ضد

(١) مات هذا القيصر مقتولا بالقبائل عام ١٨٨١ بأيدي بعض الثوار الروس

(١) راجع كتاب بيك باشا « تاريخ شرق الأردن وقبائلها » - القدس ١٩٣٤

صفحة ٢٧٠ .

وكتاب Russian conquest of the caucasus-Duddly

الغزاة تحت قيادة الإمام الشيخ شامل الداغستاني الذي أوجد نظاماً إدارياً موحداً وحكومة مركزية قوية ، وأنشأ الكتائب والمدارس لتعليم القرآن والقراءة والكتابة ومبادئ العلوم ، كما أنشأ المصانع لصنع الأسلحة والبارود . وكان يساعده في حملاته شراكسة الكوبان تحت أسرة الحاج (كراندوق بك) . وكان الشيخ شامل يقود جنوده إلى المعارك بنفسه ، وانصرف في عدة مواقع إلى أن أسره الروس ونفوه عام ١٨٥٩ بعد أن ناضلهم أكثر من عشرين عاماً ، لجأ إلى الحجاز مع ولديه شافع وغازي وتوفي فيها عام ١٨٩١ . وبأسره انتهت الحروب النظامية في القوقاز .

إلا أن الششين حملوا الواء النشمال بعد خروج الشراكسة من البلاد وكرنوا (تصابات) فدائية كانت تلحق الضرر الكثير بقوى المعتصب ومن هؤلاء الفسائلي المشهور (زليخمان) وقد ناوأ الروس عشر سنوات وقتل عدداً عام ١٩٠١ . كما نبت في فترة الاحتلال كثير من الشعراء والأدباء الذين ناووا الاحتلال بشعرهم وقلمهم ، ومن هؤلاء الشاعر (كوستا) — من القوشحة — وقد اضطهد ونفي وسجن مراراً ومات مريراً عام ١٨٩٨ بعد أن ألهم شعور القوقازيين بقصائده الحماسية .

وهكذا ترك الشراكسة أوطانهم وهاجروا إلى بلاد الشرق الأدنى وبعضهم إلى أوروبا وانتطعت الصلة بين من بقوا هناك وبين الذين هاجروا . ولم تمض سنوات كثيرة

حتى كان الشرا كسمة قد ألقوا أوطانهم الجديدة وساعدوا على إنشائها
بقدر ما كانت تمكنهم أحوالهم المادية المحدودة، إذ خرج أكثرهم فقيرا
تمزقه الأمراض والكوارث، مما اضطر الحكومة التركية إلى إقطاعهم
الأراضي بمعدل ٢٥ - ٣٠ دونما (١) للعائلة. وكان أكثر هذه
الأراضي مهجورا وبعضها موبوءا بالمalaria والأمراض، فعمروها،
وهلك في سبيل ذلك منهم من هلك وعاش من عاش، وازدهرت بهم
الأراضي الجرداء بعد زرعها وأنشأوا فيها قراهم ومساجدهم وانخرط
قسم كبير منهم في الجندية أحب الهوايات إلى نفوسهم وحاربوا في صفوف
الجيش العثماني، وكانت لهم مواقف حريسية مشهورة، فردوا للدولة
العثمانية الفضل فضلين، كما انخرط فريق آخر منهم في سلك الإدارة فكان
منهم الولاة والحكام والوزراء الذين أداروا دفة الأمور بحنكة شهدت
لهم بها الأعداء

وفيا يلي بيان عن الأقطار التي حل فيها الشرا كسمة، وعددهم،
وقراهم، وشيء عن حياتهم.

تركيا - وقد هاجر إليها القسم الأكبر ويقدر عدد الشرا كسمة
الموجودين الآن بتركيا بحوالي المليون. ولهم قرى خاصة بهم. كإلناهم
محافظون على تقاليدهم القديمة، ولو أنهم امتزجوا بالحياة التركية امتزاجا

(١) الدونم الف متر مربع.

يكاد يكون تاماً. ويبلغ عدد قراهم حوالي ٦٥ قرية وبعضهم يقيم في المدن الكبرى مثل استنبول وأرضروم وغيرها. ومن بينهم أعضاء في المجلس الوطني الكبير (البرلمان). وقد أنشأوا جريدة (غوازه) (١) بعد إعلان الدستور التركي (خلافة السلطان عبد الحميد)، وكانت تصدر باللغتين الشركسية والتركية. كما كانت لهم جمعيات تجمع شملهم وتشرف على شؤونهم، ومنها جمعية التعاون الشركسية باستنبول.

سوريا — ويبلغ عدد الجالية الشركسية في سوريا حوالي ٢٥ ألفاً ومن قراهم في قضاء الجولان: القنيطرة، المنصورة، صرمان، الجوزة الحشنية، ومودايه، عين زيوان، السامانية، بيرنجم، وعدة قرى أخرى في لوائى حمص وحلب وغديرهما. وهم يشتغلون بالزراعة وبعض الصناعات، وبينهم عمسدد كبير من الشباب المتعلم، وبعضهم يشغل الوظائف الحكومية والإدارية. وتشكلت عندهم مدرسة ابتدائية شركسية، وفرق رياضية، وهم متمسكون بالعادات الشركسية. (٢)

شرق الأردن — يبلغ عمسدد الشركسية في شرق الأردن حوالي ٢٥ ألفاً، يسكن قسم منهم العاصمة (عمان) وهم الذين أعادوا بناءها. ولهم

١٠، معناها: الدليل وتطلق كذلك على النجم القطبي.

(٢) نشرت جريدة (الأهرام) بعددها الصادر يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٧ أن سوريا حشدت قواتها على حدود فلسطين لاحتلالها بالاشتراك مع قوات دول الجوار العربية في حالة انسحاب الجيوش البريطانية من فلسطين؛ وأنه في مقدمة هذه القوات فرق الجالية الشركسية. وهذا يدل على مبلغ اعتاد هذه الجمهورية العربية الفتية على قوات الشركس؛ لما اتصفت به من الشجاعة والاخلاص.

قرى خاصة بهم منها: وادي السير، صويح، زعرور، الرصيفة، وبعضهم يقيم
في جرش والزرقاء. ولهم في عمان نادي رياضي (النسائي الرياضي
الأهلي) وجمعية خيرية لمساعدة الفقراء ونشر الثقافة، مركزها عمان



فريق نادي الأهلي الرياضي بعمان، فريق الأندية الكروية، الذي
فاز بكأس جدلة الملك عبد الله، لعام ١٩٧٧

وتضم أعضاء، بالإنتخاب ممثلين لسائر القرى الشركية والشيشانية (١)
كما يوجد في كل قرية نادي خاص بالقرية ونشر الرياضة العامة، وهم
كلهم من أبناء بني هاشم (بني الأوس)، (بني أمية، الملك عبد الله

١ يعتبر الشيش من الواحة الذهبية حرمها من بحيرة الأمان الشركية، وهم
لهذا دورا هاميا في تاريخ قرقاز، وكلهم مسلمون على المذهب السني.

حرس خاص من الشراكسة . وقد ارتقى منهم منصب الوزارة أصحاب السعادة والمعالي عمر باشا حكمت وسعيد باشا المفتي ، وعباس باشا ميرزا . وكان الشابسوغ أول من جاء شرق الأردن من الشراكسة . فقد خرجوا من القوقاز على ظهر إحدى البواخر . ولما كانوا في عرض البحر اندلعت ألسنة النار في الباطنة فاحترق ما يقارب السبعمئة نفس . ومن سلم منهم نزل في عكا . ثم حملوا إلى نابلس حيث مكثوا قرابة عام ومنها رحلوا إلى شرق الأردن واستوطنوا عمان بعد أن أعطتهم الحكومة العثمانية بعض أراضيتها . ولهم حي خاص في العاصمة يعرف بحي الشابسوغ .

وفي عام ١٨٨٠ هاجرت إلى شرق الأردن جماعات من قبيلتي القبردي والبزادوغ ، فاستوطن القبردي مدينة عمان والبزادوغ وادي السير . وفي عام ١٨٩٢ قدمت جماعات أخرى من القبردي وسكنوا عمان وأنشأوا ما يعرف الآن بحي المهاجرين . وفي عام ١٩٠١ وفدت على شرق الأردن عائلات أخرى من القبردي والبزادوغ فبنوا قرية (ناعور) وسكنوها . وآخر من قدم من الشراكسة إلى شرق الأردن كان بعض عائلات من القبردي أيضا ، استوطنت قرية الرصيفة وذلك في عام ١٩٠٩ (١) .

وتوجد في شرق الأردن كذلك جاليات كبيرة من الشيشان ، جاءوا

١٥ تاريخ شرق الأردن — بيك باشا ص ٣٧٠

إلى شرق الأردن حوالى العام ١٩٠٦ . وقد منحتهم الحكومة الثمانية
أراض فى الزرقاء وصويلح والسبخنة أنشأوا عليها قرأهم الخالفة . ولهم
ناد اسمه (النادى القوقازى) ، وبنهم كثر من الشباب المناهض المشقف .

ويشتغل شرا كسة شرق الأردن بالزراعة ، ولا يتعاطون التجارة
إلا فىما ندر . وبنهم بعض الصناع ، كما إن البعض الآخر يشغل
وظائف الحكومة ، والجيش ، وقوة الحدود . وتوجد الآن بنهم
تهضة ثقافية مباركة ، ويسافر الكثر منهم لطلب العلم فى الخارج سنويا
ومنهم الآن عدد فى جامعات مصر والعراق وسوريا وأمريكا .

فلسطين — لا يزيد عدد الشرا كسة فى فلسطين على الف . كلهم
من الشابسوغ يقيم أكثرهم فى قرية كسر كما ، وهى قرية صغيرة واقعة إلى
الشمال قرب طبريا وفى القرية مدرسة ابتدائية أميرية ، وفيها من الصناعات
ما بنى بحالة سكان القرية ، من حدادة ونجارة وخلافه . كما توجد فى
نواح أخرى من فلسطين بضعة عائلات متفرقة .

مصر — وأما مصر فيقدر عدد الشرا كسة فيها بحوالى خمسة آلاف
أكثرهم هاجر إليها فى عهد الخديوى اسماعيل وبعده . أما الشرا كسة
الذين جاءوا إلى مصر فى القرنين الرابع والخامس عشر ، وهم الذين
يعرفون فى التاريخ باسم « المماليك » فقد هلك أكثرهم فى مذبحه القلعة
وما بعدها عام ١٨١١ وصدورت أموالهم ، وزوج محمد على باشا
نساءهم إلى ضباطه وجنوده . وسيجى ذكر ذلك تفصيلا فيما بعد .

وقد تأسست في القاهرة عام ١٩٣٢ جمعية اسمها « جمعية الأخاء
الشركسية لنشر الثقافة والتعاون الأدي والاجتماعي بين الشركسة
ولمساعدة الضعفاء والمحتاجين منهم وكان مؤسسها المرحوم عبد الحميد
بك غالب شركسيا غيوراً ، وقد قام بترجمة كتاب (تاريخ القوقاز)
عن اللغة التركية وطبعه على نفقته الخاصة . إلا أنه مما يؤسف له حقاً ،
أن هذه الجمعية قد توقفت نشاطها بعد وفاة مؤسسها ، ولم يعد القائمون
بأمرها يهتمون بتنفيذ الأهداف السامية التي نص عليها قانون تشكيلها .

دولة الشراكسة في مصر

لا بد لمن يكتب عن تاريخ الشراكسة وأثرهم - بصفة خاصة - في حياة وسياسة شعوب الشرق الأدنى ، أن يتحدث عن عصر (المماليك) الذين بسطوا نفوذهم على مصر وبلاد الشام قرابة مائة وخمس وثلاثين عاما (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) .

ويهمني قبل أن أتحدث عن هذه الفترة من تاريخنا - وهي كذلك فترة من تاريخ مصر والبلاد التابعة لها - أن أنفي كذبة شائعة بأن الشراكسة الذين حكموا مصر خلال تلك الفترة كانوا عبيداً ، أو كما سماهم التاريخ (مماليك) . وفيما يلي بيان ذلك :

عندما افتتح صلاح الدين مصر وأنشأ فيها الدولة الأيوبية ، كان معظم جيشه يتألف من السلاجوقيين (وهم من الترك) وبعض المرتزقة والأكراد وغيرهم . ولما جاء بعده الملك الصالح بن العادل أخ صلاح الدين ، رأى أن يعزز قوته ، فابتاع الفان من المماليك الترك وجعل منهم أمراء دولته وبطانته وبنى لهم قصوراً عظيمة متقنة البناء منيعة الجانب في جزيرة الروضة . ولذلك عرفوا بالتاريخ باسم

« المماليك البحريةية » (١) وسرعان ما تفككت عرى الدولة الأيوبية ورجس على عرش مصر سلاطين أطفال ، وكثر حبك الدسائس ، فاستولى زعماء هؤلاء المماليك على مقاليد الحكم في مصر . إلا أن فئة صغيرة من الجنود كانوا معسكرين في القلعة التي أنشأها صلاح الدين جاءوا من القوقاز بدعوة من الخلافة العباسية ببغداد لشدة أزر الخليفة العباسي ومقاومة سلطان المماليك الذي كان آخذاً في الاستفحال (٢) كانوا يرقبون تطور الأحوال بعين فاحصة ، وما أن جاء العام ١٣٨٢ للميلاد حتى كان أحد زعمائهم « برقوق » قد خلع السلطان التركي حاجي بن شعبان واستولى على الملك مكانه ، ملقباً نفسه بالملك الظاهر وهو لقب أعظم من حكم مصر من دولة المماليك البحريةية وهو ركن الدين بيبرس البندقداري (٣) . وقد عرفت هذه السلالة الجديدة باسم « المماليك البرجية » لإقامتهم في « البرج » أو القاعة التي أنشأها صلاح الدين .

وهكذا ابتداء حكم الشراكسة لمصر .

« ١ » تاريخ القاهرة في الف عام تأليف البكباشي عبد الرحمن زكي مدير المتحف الحربى بالقاهرة .

« ٢ » تاريخ المماليك للمر وليام موير .

« ٣ » تاريخ القاهرة في الف عام تأليف البكباشي عبد الرحمن زكي

وفي هذه الأثناء كما تقدم في الفصل السابق ، كانت الحروب دائرة بين الشرا كسة في القوقاز والتتر من الغرب ، بتحرير الخلافة العثمانية . وكان التتر يرسلون أسراهم من الشرا كسة إلى تركيا ، فعمد سلاطين الشرا كسة في مصر إلى اقتداء بني بجلدتهم بالمال ، وسخرُوا رسلا أو وسطاء لهذا الغرض ، فكانوا يفتدونيهم ويحضرونهم إلى مصر ، وهناك ينضمون إلى خدمة السلطان ، ويتلقون فنون الحرب والسياسة كما كانوا يتلقون العلوم والآداب على أيدي أساتذة مدرسين لهم هذا الغرض .

وقد فسر بعض المؤرخين — أو أكثرهم — هذه الفدية بأنها «شراء» وهذا خطأ محض ، وقد فطن بعض المؤرخين إلى هذا الخطأ ومنهم أبو الفداء ، والنويري ، ومن الأدلة التي ساقها هؤلاء المؤرخون على بطلان الزعم بأن سلاطين الشرا كسة كانوا عبيدا أنهم أول من أبطل الرق في العالم وذلك عام ١٤١١ م

ولعله سيكون قد لاحظت بهم صفة الممالك لكونهم أجانب مثل الممالك البحرية — ومثلهم — جنودا في جيش الأيوبيين والعباسيين فلما استولى الشرا كسة على مقاليد الحكم لصق بهم اللقب الذي عرفت به السلالة السلجوقية السابقة ، ثم تميزوا في التاريخ باسم الممالك البرجية كما تقدم .

ومن أشهر ملوك السلالة الشركسية الجسديدة الملك الأشرف
«برسبای» . وقد بنى هذا الملك اسطولا عظيما في بولاق عام ١٤٢٦ م
أخضع به جزيرة قبرص وأسر ملكها وأحضره مكبلا بالجسديد إلى
مصر وبقي هناك إلى أن افتسده قنصل البندقية ، وعاد إلى بلاده بعد
أن وافق على دفع الجزية لمصر
وقد وصلت حدود المملكة المصرية في عهد برسبای إلى آسيا
الصغرى وشواطئ الفرات «العراق»

ومنهم السلطان قايتباي . وقد حكم مدة ٢٨ عاما . وقد شيد جامعين
يعرفان باسمه ، و «وكالات» أو «خانات» تعتبر من أجمل الأمثلة لفن
الزخرفة . كما أنشأ كثيرا من الطرق والمدارس والقلاع والقناطر
وسائر الآثار التي تدل على ذوقه الرفيع . وقد جاء عن هذا السلطان
في كتاب «القاهرة في النعام» ما يلي :

« وكان قايتباي موقفا في أعماله . كما اشتهر بشدة عنايته بالدقائق
والتفصيلات . ودرس آثاره كلها تدعو إلى الإعجاب والدهشة ويمكن
اعتبار عصر قايتباي صورة طبق الأصل لأيام الناصر من حيث
تشديد المباني العظيمة . ولا تزال مساجد الشراكسة تجذب إليها
المعماريين والمصورين والزائرين من نواحي العالم .»

وفي العام ١٥٠١ تولى عرش مصر السلطان قانصوه الغوري .
وكان وافر النشاط قوى الإرادة ، فوطد دعائم الأمن وقضى على

الفوضى وأصلح مالية الدولة . فلما تم له ذلك أخذ في شق الترع وإقامة الحصون على السواحل وأصلح طريق الحجاج إلى مكة وشيد المدرسة التي عرفت باسمه ، ودار الكتب الزكية ، وبنى مئذنة جديدة للجامع الأزهر ، وشيد جامع المقياس في جزيرة الروضة وسبيل المؤمنين في الرملة ، وطواحين الهواء في مصر العتيقة ، وجدد بناء عيون المياه الموصلة للقلعة ، وكان الغورى مبعولا في مجلسه كرما مع الشعراء ميالا للموسيقى والموسيقمين (١)

ومن أعماله الحرية الهزيمة المنسكرة التي احتها باسطول البر تغالين عام ٦١٣ هـ . ومن أعماله السياسية تلك المعاهدة التي وقعها مع اسبانيا عام ١٥٠٣ م وفيها وافقت اسبانيا على الإمتناع عن وضع أية عقبة في سبيل التجارة المصرية .

إلا أن نهاية هذا الملك العظيم لم تتناسب مع أعماله المجيدة ومنازين حكمه الزاهرة . إذ أعلنت تركيا الحرب على مصر عام ١٥١٥ ، فسار قانصوه على رأس جنوده إلى سوريا المقاتلة جنود العثمانيين ، والتجم الفريقان قرب (مرج دابق) . وقد قتل قانصوه في هذه المعركة وهرسته أرجل الخيل يوم ٢٤ أغسطس من نفس السنة ، فتولى الملك بحسده الملك الأشرف طومانباى ، والتجم بالعثمانيين بالقرب من مصر الجديدة (شمال القاهرة) ولكن جنوده هزمت في المعركة ، وعاد طومانباى إلى القاهرة

١٢ تاريخ القاهرة صفحات ١٠١ و ١٠٢

لتنظيم الدفاع عن العاصمة . إلا أن السلطان سليم ، القائد التركي ، فاجأه بهجوم عنيف ودار القتال بين الطرفين داخل شوارع القاهرة حتى استولى السلطان سليم على القلعة وتبعض على طومانباي ، وأمر بشنقه على باب زويلة في أبريل عام ١٥١٧ م

هكذا انتهى حكم هذه السلالة لمصر . ونهى هذا الفصل بشهادة اثنين من المؤرخين عن أعمالهم العظيمة . أحدهما مصري هو البكباشي عبد الرحمن زكي أمين المتحف الحربى بالقاهرة ، والآخر انجليزى هو المؤرخ الكبير السير ويليام موير .

قال الأول فى كتابه (تاريخ القاهرة فى الفعام) صفحة ٦٧ ما يلى : —
« وكانوا مسلمين يؤمنون فرائض الدين كاملة لا يشربون الخمر ويحجون إلى بيت الله . شيدوا المساجد والمسندارس والمستشفيات والمنشآت الدينية . »

وقال فى صفحة ٩٨ ما يلى : —

« وفى أيام الشراكسة وعلى الأخص فى عصر قايتباي أدخلت على فن المعمار تعديلات جوهرية جديدة . فقد توسعوا فى استعمال الحجر المنحوت وبنائة الجدران الداخلية وزخرفوها بمقوش جميلة . وشاع فى عصر الشراكسة عمل الزخرفة نقشاً على الحجارة نفسها بدلا من عملها بواسطة الجص أو الملاط . فامتازت الآثار التى كثرت فى ذلك العهد بالاتقان جملة وتفصيلا . »

وقال السير ويليام موير في كتابه (تاريخ الممالك) صفحة ٢٢٠

ما يلي : —

« لقد كانوا — أى ماوك الشرا كسة — وهم صغارا ، ضالعين بالعلوم السياسية والفلسفية ، كما كانوا ماهرين فى استعمال السلاح وركوب الخيل . وقد خلفوا وراءهم آثاراً من مدنيهم العظيمة التى لم تستطع البربرية العثمانية تجريدتها من رونقها وعظمتها » .

الاستقلال وما بعده

على أثر الانحلال الذي طرأ على روسيا خلال الحرب الكبرى الماضية ، أعلن كثير من البلاد التي كانت تابعة لروسيا إستقلالها ، وفي يوم ١١ مايو عام ١٩١٨ تكونت في شمالي القوقاز جمهورية مستقلة من الداغستان والشراكسة والششني ، مساحتها حوالي ٦٥ ألف كيلومتر مربع ، وسكانها حوالي الأربعة ملايين نفس . وفي عام ١٩٢٠ تم وضع دستور الجمهورية الجديد ، وانتخب الجنرال ميخائيل باشا رئيسا لأول جمهورية مستقلة في شمالي القوقاز (والجنرال المذكور داغستاني من قبيلة الأوار) . وقد اعترفت كل من فرنسا وبريطانيا بهذه الجمهورية الجديدة ، وسائر الجمهوريات الأخرى التي تألفت في القوقاز (وهي جمهوريات جورجيا وأذربيجان وأرمينيا) واعتمدت قنصلا لتمثيلها لدى هذه الجمهوريات ، وقد تكون فيما بعد مجلس اتحاد هذه الجمهوريات ، وضع الأسس لحكومة قوقازية قوية ، على أساس الاستقلال الداخلي التام لكل حكومة . إلا أن الظروف السياسية السائدة في ذلك الحين ، وما تبعها من ضغط الجيش الأحمر على البلاد

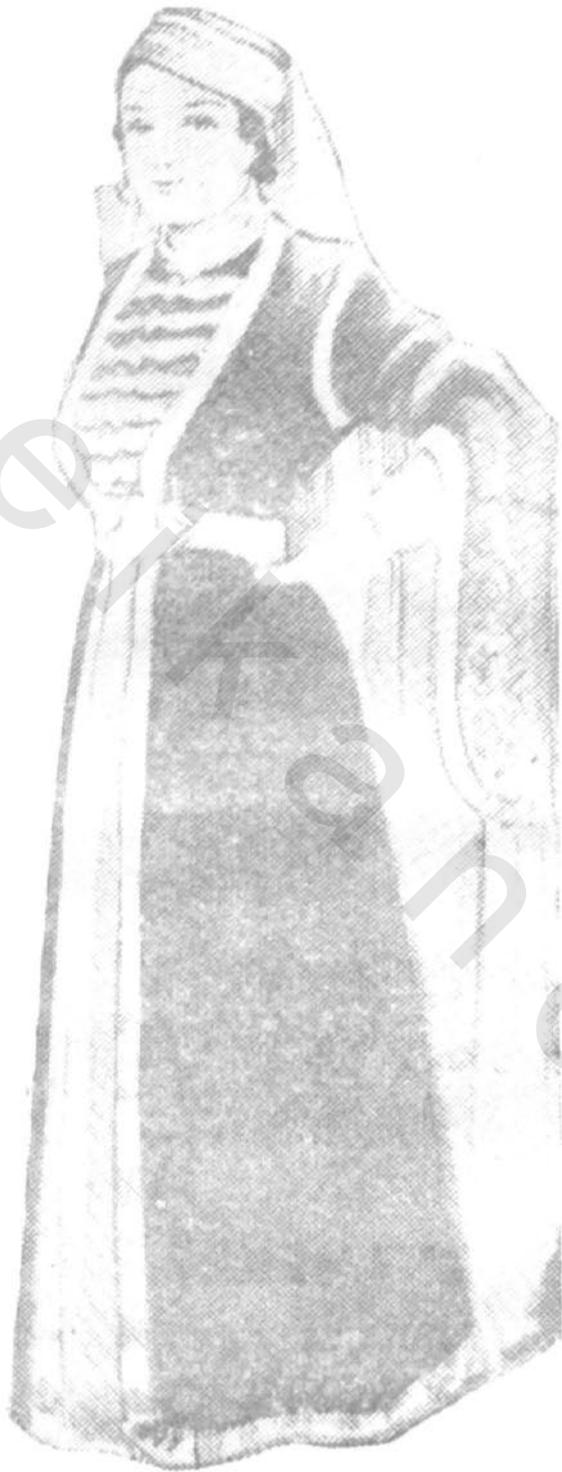


شركمى بالملابىر القومية

القوقازية، والخطر التركي من الجنوب، دعا زعماء هذا الإتحاد إلى طلب وضع هذه الجمهوريات تحت الانتداب الأمريكى فرفضت أمريكا قبوله، فعرض الانتداب على إيطاليا وهذه رفضت قبوله أيضا (١).

إزاء ذلك وجدت روسيا الجديدة الفرصة سانحة لاقتناص هذه الجمهوريات وإخضاعها للنظام الجديد. فأوقعت بين أذربيجان وأرمينيا، وجورجيا، وهاجمت تركيا الدولة الأرمينية من الجنوب، لاستعادة مقاطعتى قرص وأردهان اللتين كانت أرمينيا قد ضمتهما

١٠ راجع كتاب And Nothing Long لمؤلفه المستر ويدهام سنبند
فصل إنجلترا فى القوقاز عام ١٩٢٠.



فناة شركية بالملابس القومية
د عن كتاب تاريخ القوقاز، ٤٩

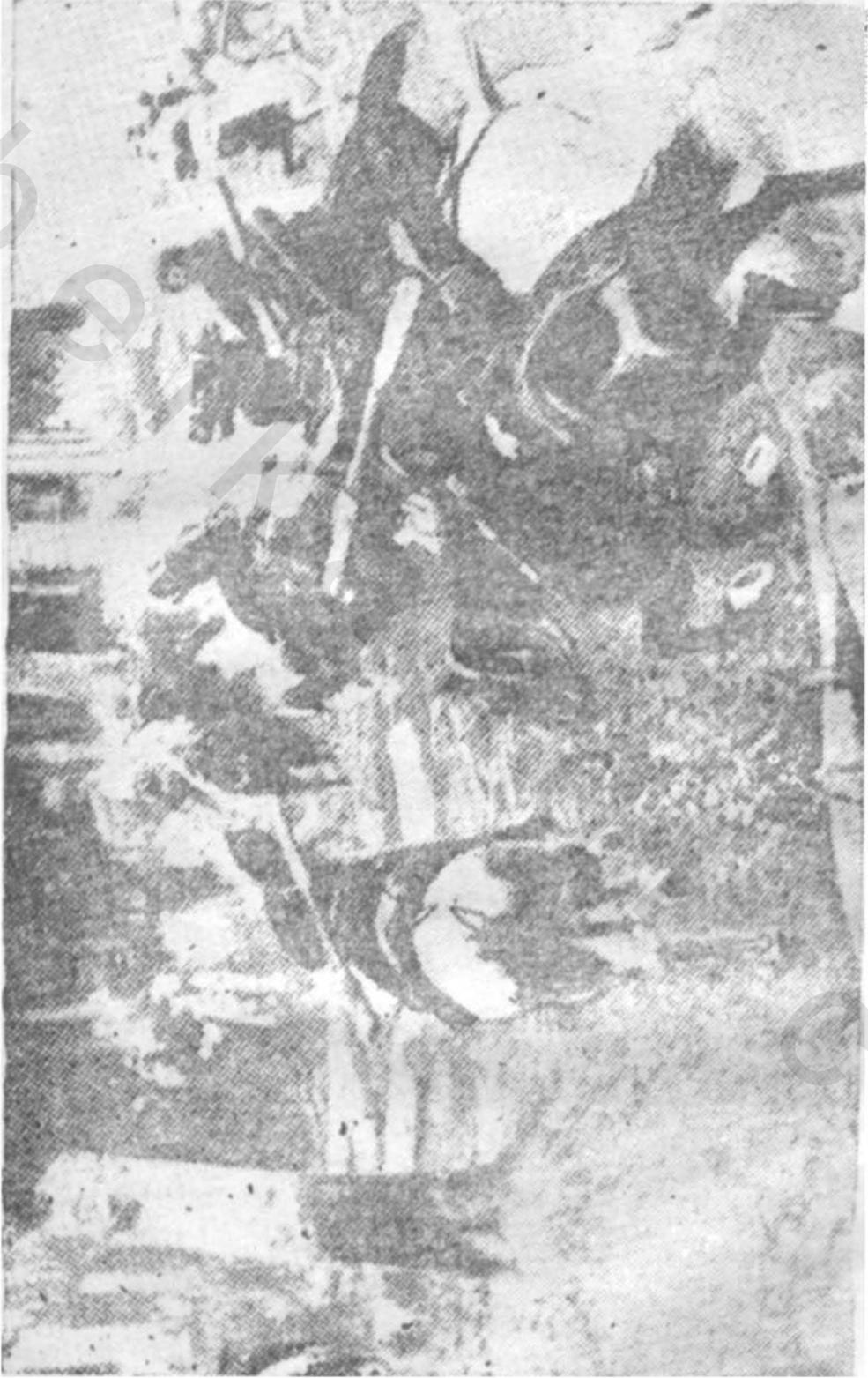
إلى بلادها مغتمة
فرصة الفوضى
الداخلية في تركيا .
كل هذه أعطت الفرصة
لروسيا للتدخل الفعلي
بقصد إعادة الأمن
إلى القوقاز وحماية
حدودها القوقازية .
وهكذا احتلت بالقوة
هذه الجمهوريات
الأربعة في أواخر عام
١٩٢١ ، وما أن
أشرف العام التالي
حتى كان القوقاز
بأسره خاضعا للنفوذ
الروسي مرة أخرى
وقد تشكلت بعد
ذلك حكومات ذاتية
وجمهوريات سوفياتية
في البلاد ، ومنح
الشراكية نوعا من
الحكم الذاتي ، في
رقعة مساحتها تسعة
آلاف كيلومتر مربع

وسكانها حوالي نصف المليون، تابعون إدارياً لموسكو. والجزء الأكبر من الثمرا كسة المقيمون في تلك الرقعة من قبيلة « القبردي » والمدينة الرئيسية في هذه المنطقة هي نالتشك ، سكانها حوالي ٦٠ الف نسمة وفيها جامعة ، ويخترقها نهر كوبان المشهور (١)

وقد تأسست كذلك في القوقاز حكومات محلية ذاتية لكل من الششن، والابازة ، والأساتين ، إلا أن هذه الحكومات ليست لها صفة الجمهورية، وتعتبر جزءاً من الرقعة الكبيرة التي تخضع في إدارتها إلى موسكو رأساً.

□□□□□□□□□□

«٩» مياه هذا النهر معدنية ومشهورة لمعالجة عسر الهضم وبعض الأمراض الأخرى



فريق من فرسان الشركس يهاجمون جيشاً روسياً قرباً في إحدى معارك شمال القوقاز وقد أتى الشراكسة خلال هذه المعارك بمميزات تفتتت من أساطير.

بعض آثارنا

بيننا في فصل سابق أثر الشراكسة وجهودهم في مصر . وكيف أنهم
شجعوا العلوم والفنون والآداب ، وأنشأوا المدارس والملاجئ
والمستشفيات للشعب ، وبيننا كيف أنهم حفظوا لمصر سيادتها الداخلية
والخارجية فكانت مصر في عهدهم في حرز من كل طامع ، قوية الرأس
مرهوبة الجانب . وفي عهدهم امتد النفوذ المصري إلى سوريا وفلسطين
وشرق الأردن وقبرص وسواحل البحر الأحمر ، وكان الأمن الداخلي
مستتباً . ولعل شهادة المؤرخ الانجمايزي المشهور السروليم موير في
كتابه (تاريخ المماليك) المذكورة في الفصل السابق ، خير دليل
على ما نقول .

وبعد استيلاء العثمانيين على مصر ، لم يستطيعوا النهوض بكل هذه
الأعباء ، فاضطربت الأحوال ، واستقل كل زعيم (بك) بإدارة
أقطاعية أو (مقاطعة) . ولم يستطع الوالي التركي أن يبسط نفوذ
دولته على مصر ، فقام في البلاد حكم شاذ غريب ، تخللته حوادث عنيفة ، كما
قامت مشاحنات داخلية بين (بكوات) الشراكسة ، وسواهم من

أصحاب النفوذ ، وانتهت هذه الحالة بأن قبض على ناصية الحكم (على بك) وهو مملوك شركسي - نفلع الوالى التركى ، وأعلن استقلال مصر عن الدولة العثمانية ، ووطد دعائم الأمن فى البلاد ، وخافه أعداء النظام والمجرمون ، فاستقرت الأحوال ، وعادت المياه إلى مجاريها . وما أن استتب الأمن الداخلى ، حتى يمم وجهه شطر الخارج ، فأخضع شبه جزيرة العرب ، والقطر السورى ، وسواحل البحر الأحمر ، وأنشأ ملكاً جديداً مرهوباً ، وأعلن نفسه ملكاً على هذه المملكة الجديدة . وذلك عام ١٧٥١ الميلاد .

ولكن أعداءه استمروا يكيدون له فى الخفاء . وفارضوا الحكومة التركية على إعادة النفوذ العثمانى لمصر . وانتهزوا فرصة موته عام ١٧٦٣ فاعلن أحدهم لواء الخوارج المدعو (أبو الذهب) - وهو شركسى - ولايته وتبعيته للدولة العلية ، وهكذا عادت مصر مرة أخرى إلى حظيرة الأمبراطورية العثمانية .

واستمرت هذه الفوضى زمناً ، إلى أن كان هجوم نابليون على مصر عام ١٧٩٨ م بدعوى توطيد النفوذ العثمانى فى مصر . وهبت مصر كلها يداً واحدة لقتاله . واذكى الشراكة حمية القتال ، ونظموا صفوفهم ، وقامت بينهم وبين الفرنسيين المعارك الدامية إلى أن هزموا أمام مدافع الفرنسيين فى معركة امبايه عام ١٧٩٩ . إلا أن البريطانيين

لم يرقهم هذا الانتصار، فجمعوا إلى الاسكندرية بأسطول ضخم وأكروهوا
الفرنسيين على الإنسحاب من مصر يوم ٢٤ يناير عام ١٨٠٠ م .
وفي عام ١٨٠٣ ثار الأرنؤوط بقيادة محمد علي باشا ضد الوالي
التركي ، محمد خسرو ، وأكروهوه على الفرار . وعلى أثر فراره اندلعت
نيران الثورة في مصر ، وطلب الزعماء من الباب العالي تعيين محمد علي باشا
واليا على مصر ، فأجيبوا إلى طلبهم ، وفي يوم ١ مارس عام ١٨١١ دعا
محمد علي باشا زعماء المماليك إلى حفلة مقامة في القلعة بمناسبة سننر إبنه
طوسون باشا إلى الحباز . وفي أثناء التعام ، أطلقت عليهم النيران ،
وأبيدوا الا واحداً استطاع الفرار بأن قذرت بجواده من فوق سور
القلعة ، وصدرت الأوامر في الوقت نفسه إلى جميع الحكام بالتخلص
من الشراكسة ، فأبيد منهم الكثير ، وصودرت أملاكهم ، وفر منهم
من استطاع الفرار . وبعد أسبوع من ابتداء هذه المذابح أمر محمد علي
باشا بإيقافها ، وزوج نساء القتلى من جنوده . (١)

* * *

وكان نصيب مصر من هجرة الشراكسة على أثر الفتح الروسي
محدودا ، فلم يتعد بضع مئات . إلا أن هؤلاء ، بالإضافة إلى من بقي من
سلالة المماليك ، كان لهم بالرغم من عددهم الضئيل أثر كبير في الشؤون
المصرية . إذ سرعان ما تفهم هؤلاء المهاجرون الجدد أساليب الحياة
المصرية ، وتفقهوا في اللغة العربية ، فلم تمض مدة كبيرة حتى كان منهم
الضباط في الجيش ، وأصحاب المراكز العالية في الحكومة ، وظهر منهم

(١) تاريخ مصر الحديث للاستاذ محمد رفعت

الأدباء والعلماء . ومن العائلات المصرية التي تمت إلى أصل شركسى :
لاشين وبكتاش وأباظة (١) ورستم والدمرداش والمصرى (ومنهم
الفريق عزيز المصرى باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى سابقا)
وذو الفقار (ومنهم جلاله الملكة فريدة) ، وثابت (ومنهم محمود ثابت باشا
سفير مصر فى اليونان) ، وشيرين والمنشاستيرلى والبرديسى وغيرهم
من العائلات الكبيرة التي تلعب دورا هاما فى حياة مصر الاقتصادية
والإدارية والسياسية

هذا بعض من أثر الشرا كسة فى حياة مصر ، وهو أثر يمتد —
تبعا لامتداد النفوذ المصرى — إلى القطر السورى وسواحل البحر
الأحمر .

وقد هاجر بضع مئات من الشرا كسة إلى يوغوسلافيا واليونان
كما هاجرت بعض عائلات منهم إلى الولايات المتحدة ، وبولونيا ،
ويكاد لا يعرف عن هؤلاء شيء يذكر .

وأما فى سوريا وشرق الأردن ؛ فقد استصلاح الشرا كسة الأراضى
التي اقطعت لهم ، وزرعوها ، فتحسنت بذلك اقتصاديات البلاد
ونشطت أمور الزراعة ، كما أدخلوا على أوطانهم الجديدة صناعة
النقش على الفضة والخاروف الجميلة ؛ وهذه الصناعة يتقنها الشرا كسة
أيما إتقان

١ د يدعى فريق من الأباظية أنهم من عرب الحجاز . إلا أن رأى الغلب أنهم
شرا كسة من قبيلة « الابازة » الشهيرة بالقوقاز

وقد جاء في كتاب مدام كولييه (طريق الخلاص) أن المنتجات الزراعية التي ينتجها شرا كسة سوريا ، مطلوبة مرغوبة للعناية الفائقة التي يبذلها الشرا كسة في نظافتها وإتقانها .

وقد امتزجت بعض العائلات التركية والسورية والأردنية والمصرية بالشرا كسة عن طريق الزواج . وذلك لما هو مشهور عن نساء الشرا كسة من حسن إدارتهن لبيوتهن ، ونظافتهن ، وحسن منظرهن . ولاشك أنه نتج عن هذا الاختلاط تسرب بعض العادات والأخلاق الشركسية إلى صميم حياة أهل هذه البلاد .

وقد كان الشرا كسة أول من أعاد تعمير عمان ، المدينة الأثرية القديمة التي بناها الرومان وكانت تعرف في التاريخ باسم « فيلادلفيا » وهي اليوم عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية وقد خدم الشرا كسة العائلة الملكية الأردنية بإخلاص حفظه لهم جلالة الملك عبد الله ، فانتخب من بينهم بعض رجال حرسه الخاص .

وقد ترك الشرا كسة في هذه البلاد أثراً من زيهم القومي ، فالقلب (غطاء الرأس) يلبسه رسمياً البوليس الفلسطيني ، وجنود وضباط قوة الحدود الأردنية ، بما فيهم الإنجليز . وقد كان القلب شائعا كذلك في تركيا ، وكان الزي الرسمي للجيش التركي ، وكان أتاتورك ، محرر تركيا ، يلبسه دائما إلى أن ألغى هذا الزي واقتبست تركيا الأزياء الأوروبية الحديثة .

وقد أخذ أهل هذه البلاد عن الشراكسة بعض ما كولاتهم
الوطنية، وأهمها «الشبس والباسته» وتعنى بصنعها بعض العائلات المصرية
بوجه خاص ويسمونها «الشركسية». وأما في تركيا فقد كان أثر
الشراكسة واضحاً في فنون القتال، وأخذ الأتراك عنهم نظام الفروسية
كما نقله عنهم القوزاق والروس من قبل. كما ارتقوا إلى الوزارة،
فوجهوا إدارة الامبراطورية العثمانية زمناً ليس بالمتصير، وتزوج
الخلفاء من نسائهم. وعندما قامت ثورة الكمالين ساعدتهم الشراكسة
وبذلوا دمهم في ساحة الحرب، فشاركوا بذلك الأتراك في بناء الدولة
التركية الجديدة، ولا يزال منهم هناك حتى اليوم رجال ذوو نفوذ.
يخدمون وطنهم الجديد بإخلاص وحنكة وحسن سياسة (١).
وفي الحرب الأخيرة، حاربت الفرقة الشركسية التي أنشأها
الفرنسيون في سوريا بقيادة الجنرال كولين في صفوف الحلفاء،
وساهمت في تحرير سوريا مساهمة فعالة. وقد أشادت البلاغات الرسمية
البريطانية بشجاعتهم، وخالعت عليهم أنبل الصفات. وقد نشرت مجلة
«Parade» التي كانت تصدرها القيادة البريطانية في القاهرة بعض الصور
للحملة الشركسية مع مقال طويل جاء فيه ما يلي: —

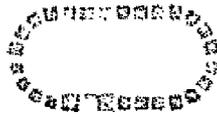
«١» ومن رجالات تركيا الحديثه، الذين هم من أصل شركسي الجنرال فوزى
تششمق رئيس أركان حرب الجيش التركي السابق؛ وجلال أورباي القائد
البحري المشهور.

« الشراكية حلفاء طبييعيون لبريطانيا منذ أقدم العصور ، وهم مشجعون بالروح الديموقراطية . ولهم تقاليد قومية رفيعة ، وشجاعتهم في القتال لا تبارى . فهم فرسان مقاتلون بالفطرة ، ومن أشد شعوب القوقاز بأساً . وقد اشتركوا في هذه الحرب جنباً إلى جنب مع الجندي البريطاني في نصره الديموقراطية واعلاء كلمه الحق . »

• • •

هؤلاء هم الشراكية ، وهذا بعض تاريخنا . وهو تاريخ اعتر بنا وبأعمالنا ، كما نعترف نحن به وبذكراه .

وأختتم هذه الرسالة بأن أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير ويلهمنا السداد في خطواتنا وأعمالنا لكي نتمكن من تحسين أحوالنا والارتقاء إلى المستوى الذي نحن به جديرون .





أحد المناظر الطبيعية الخلابة في بلاد الشراكية . وتنمو الأشجار في هذه البلاد إلى
علو شاق كما تكثر بها الأنهر الثلجية وساقط المياه

من مرثي الشهداء (١)

ها هو فتانا الشجاع ، الكريم ، « دزيغة » (٢)
أشجع فتيان أمم « الأديغة » (٣)
خارج على جواده الأبيض الجميل ،
لملاقاة العدو . . .
ودرعه اللامع ، تنعكس عليه أشعة الشمس القوية ،
فتخرج بريقا يخطف الأبصار ، ويذهل العيون . . .
والتراب يعلو من خلفه ،
التراب الذي كانت تثيره حوافر جواده بضربات القوية .
أنظر ! هاك هو اوالرصاص ينصب عليه من كل ناحية .
ولسكنه ثابت كالطود ، راسخ على جواده ،
كأرسنخت الجبال فوق أرض القوقاز . . .

« ١ » مترجمة عن الفرنسية . وقد نشر الاصل في مجلة « بروميثيه » التي كانت تصدر
بباريس قبل الحرب الاخيرة .

« ٢ » اسم الفتي

« ٣ » الأديغة — بالعين المخففة — الاسم القومي الذي يطلقه الشراكسة على
أنفسهم ؛ ومعناه الانسان الكامل .

إلى الأمام ! إلى الأمام ! والعدو يتكاثر من حوله ،
ولكنهم يخرون صرعى تحت ضربات سيفه القوية .

وبعد ساعات ، كان قرص الشمس آخذاً في الانحدار ،
وابتدأ الظلام يرخي سدوله على ساحة القتال ،
حيث تجمعت جثث القتلى ، من الفريقين . . .
والفئ الشركسي الشجاع ، ما زال فوق جواده ،
يقاتل ، ويقاتل ، ويقاتل . . .
ولكن . . . أنظر ! لقد أصابته طعنه قاتلة ،
ولكنه لم يحتاج ، ولم يتزحزح عن جواده .
واستقبلت تربة القوقاز المقدسة ، دماءه الزكية .
وغابت الشمس عن الكون ، ففضيه الظلام
كما ابتدأ الظلام يغطي عينيه . . .

عند ما عاد به رفاقة محمولا على الأيدي ، وهم مطرقون ،
كانت والدته مع نساء الحي ، يتسامرن ، وينتظرن أنباء القتال .
وكانت أخته الجميلة ، راحية شعرها الذهبي الطويل ، تغنى . . .
وتنتظر أوبة أنحائها « دزيغة » — بطل أمم الأديغة . . .
وعند ما دنا موكب الشهيد ، انقطع صوتها وخيم السكون . . .
فإن « دزيغة » — بطل الأديغة — قد مات !

وفي الصباح التالي ، أخذه رفاقه ، لمواراته التراب ،

ومعهم الموسيقى ، ترسل أحزن الأنغام . . .

وفجأة ، شق السكون صوت فتاة . . . تنتحب .

كانت أخته ، فأسرعت إليها والدتها ، وقالت :

« أتبكين ؟ وهل تبكي الأديغة ؟ »

لقد أفتى من الأعداء عشرين ، قبل أن يموت شهيداً .

لنحمد الله ، فقد مات في ساحة القتال ، ساحة الشرف ،

دفاعاً عنا وعن أمته ، أمة الأديغة . . .

النادى الأهلئ الرىاضى بهمان

تأسس هذا النادى عام ١٩٤٤ وعاىته نشر الثقافة و بث الروح الرىاضية فى نفوس الشباب . وفضلا عن ذلك ، يساهم أعضاؤه فى كثير من الخدماء الاجتماعية الهامة ، فاشتركوا فى اغائة منكبوى سوريا ومشروع إنقاذ أراضى فلسطين ولجنة اليتيم العربية . وأما من الوجهة الرىاضية فتمد فاز فريق كرة القدم ببطولة شرق الأردن وحاز على كأس جلالة الملك عبد الله لعام ١٩٤٧ . كما قام الفريق برحلاء رىاضية إلى سوريا ولبنان وفلسطين رفعت رأس النادى عاليا .

وقد باغت ميزانية النادى للعام الماضى ثلاثة آلاف جنيهه، مصدرها التبرعات والإشراكات .

ويبلغ عدد أعضائه العاملين خمسمائة عضو ، وهم ينتخبون سنويا الهىئة الإدارية المكونة من سكرتير وثمانية أعضاء .

ومبنى النادى مؤث بأحدث الأثاث ، ويضم مكتبة لا بأس بها، وبه مختلف الأدوات الرىاضية .

ولعل أهل عمان لن ينسوا ذلك المهرجان الرىاضى الكبير الذى أقامه النادى فى صيف عام ١٩٤٦ ، والذى شرفه جلالة الملك عبد الله بحضوره .